يعجب من قدرة هذا الرجل على معرفة المعاني الغريبة التي لا يفهمها إلا الأعراب الذين ترعرعوا في البادية وأعماق الصحراء؛ لقد كانت رحلته إلى بوادي الأعراب والإقامة بينهم زمنًا طويلاً والحرص على أخذ ما عندهم من لغة وأشعار برغبة شديدة كفيلة بان تتكوّن لديه ملكة أدبية وقدرة عالية على فهم دقائق المعاني التي لا يدركها إلا الأعراب، ولعل ما رواه الأشناندانى من قبل لدليل قوي على أن الأصمعي كانت له قدرة فائقة على فهم المعاني الخفية والدقيقة واللغة الغريبة، وليس هذا بغريب على هذا الرجل الذي تفرّغ للشعر واللغة والأدب، وقضى عمره في هذا الميدان؛ وهذا أستاذه أبو عمرو بن العلاء المازني يشهد له بهذه القدرة بل يقر بان تلميذه فهم ما لم يفهمه هو. قال الأصمعي: "جئت إلى أبي عمرو بن العلاء فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلت: جئت من المربد، قال: هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي، فمرّت به ستة أحرف لم يعرفها، فخرج يعدو في الدرجة، وقال: شمّرت في الغريب، أي غلبتني"[6].

إن الذي قال هذا القول في الأصمعي هو أعلم الناس في زمانه بالشعر والمعاني والغريب، وأكثرهم رواية للشعر وأخبار العرب. وهذا النص يدل على ما كان يبذل الأصمعي من جهود متواصلة للحصول على الشعر الصحيح واللغة والمعاني من مظانها سواء كانت في حلقات العلم أو من الأعراب الوافدين إلى المدينة.

ويدخل في هذا الجانب من التعليق على الشعر تمييز الصحيح من المنحول لشكه في بعض القصائد التي كان الكثير من العلماء يعتقدون أنها سلمت من الزيادة؛ فهذا محمد بن سلام الجمحي، وهو من العلماء الذين حرصوا على تصحيح الشعر وجمعه يذكر قصيدة أبي طالب في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ربيع اليتامى عصمة للأرامل

ثم يقول: "وسألني الأصمعي عنها، فقلت: صحيحة جيدة. قال: أتدري أين منتهاها؟ قلت: لا"[7].

هذا السؤال عن القصيدة وعن منتهاها من عالم لعالم آخر يدل دلالة قوية على أن القصيدة قد زيد فيها وطولت حتى عجز العلماء أنفسهم عن معرفة الأبيات التي زيدت فيها.

ومن تعليقات الأصمعي على بعض الشعراء ما يدل على أن شعرهم اختلط فيه الجيد بالرديء، لكنه لم يذكر لنا الجيد والرديء من هذا الشعر، وإنما ترك ذلك للقارئ الفطن أن يتعرف على هذه المواطن في شعر الشاعر، قال أبو حاتم: "حدّثنا الأصمعي، قال: إنما كثير صاحب كريج – يعني الحانوت بالفارسية – يبيع الخبط والقطران"[8].

> أما شرح الأصمعي للشعر والتعليق عليه فإن الدارس يعجب من قدرة هذا الرجل على معرفة المعاني الغريبة التي لا يفهمها إلا الأعراب الذين ترعرعوا في البادية وأعماق الصحراء؛ لقد كانت رحلته إلى بوادي الأعراب والإقامة بينهم زمنًا طويلاً والحرص على أخذ ما عندهم من لغة وأشعار برغبة شديدة كفيلة بان تتكوّن لديه ملكة أدبية وقدرة عالية على فهم دقائق المعاني التي لا يدركها إلا الأعراب، ولعل ما رواه الأشناندانى من قبل لدليل قوي على أن الأصمعي كانت له قدرة فائقة على فهم المعاني الخفية والدقيقة واللغة الغريبة

هذه الملحوظة تدل على أن شعر الشاعر "كثير" فيه ما يستحق أن يكون شعرًا وما لا يستحق ذلك مثل بضاعة صاحب الحانوت المختلفة في الجودة والرداءة.

وذكر أبو حاتم أيضا قال: "سمعت الأصمعي يقول: لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيرًا من شعره، فكان ذلك خيرًا له."[9]

لماذا ذكر هذه الملحوظة في شعر ذي الرمّة؟ لأن الشاعر قد خلط الجيد بالرديء، فلو أزال الرديء بمراجعة شعره لكانت له مكانة عند النقاد. ومن هنا ندرك الدوافع التي كانت تجعل الشعراء الفحول في الجاهلية والإسلام مثل زهير والحطيئة يعيدون النظر في أشعارهم لينقحوها ويزيلوا ما فيها من غث وضعف في اللغة والمعاني حتى سموا "عبيد الشعر"، قال الأصمعي: "زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر، لأنهم نقّحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين"[10].

فالشعر عندهم برغم موهبتهم وطبعهم اعتبروه علما له قواعده وأصوله يجب أن تضبط في معانيه وصوره وأغراضه وأوزانه وقوافيه، وأي خلل في هذه الأصول يفقد الشعر جماليته ومحاسنه، ولذلك كانوا يحرصون على إعادة النظر فيه حتى يقفوا على كل القواعد المطلوبة في النظم الجيد. والعارفون بهذه القواعد كانوا يعتبرون الشعر فنًا وعلمًا ينبغي أن تتهيأ له أسبابه ودوافعه الذاتية والثقافية والاجتماعية، ومنها الطبع والموهبة والرواية والتلمذة على فحول الشعراء.

الهوامش

1 – تمرّخ: تلوّن.

2– السربخ: الأرض الواسعة.

3 – أمالي القالي : 2 / 265. البرك : ألف بعير.

4 – طبقات فحول الشعراء: 1 / 24.

5 – أمالي القالي: 2/ 265 – 266. أم ثلاثين: كنانة فيها ثلاثون سهما . ابنة الجبل: القوس، لأنها من النبع والنبع لا ينبت إلا في الجبال. لا يرتقي النز: أي ليس هناك نز، والنز: الندى. الذلاذل: جمع ذلذل وهو ما أحاط بالقميص من أسفله. لا يعدي نعليه من بلل: أي لا يصرفهما عن بلل، بمعنى ليس هناك بلل. العصرة والعصر والمعتصر: الملجأ. النطفة: الماء. اللصب: كالشق يكون في الجبل. تلقى مواقع السبل: أي قبل وتضمّن، والسبل: المطر. الجناة والجنى: ما اجتني من الثمر. الأشكلة: سدر جبلي لا يطول.

6 – النوادر لأبي علي القالي: 182. المربد: سوق أدبي كان يجتمع فيه الأعراب والشعراء لإنشاد أشعارهم.

7 – طبقات فحول الشعراء: 1 244 – 245.

8 – الموشح: 198. الخبط، بفتح الخاء والباء: من علف الإبل.

9 – المصدر نفسه : 241 .

10 – الشعر والشعراء: 1 / 81 – 82 .

المصادر

• الشعر والشعراء. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. دار الثقافة. بيروت – لبنان . ط 2. 1969. تحقيق: الدكتور محمد يوسف نجم، والدكتور إحسان عباس.

• طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي . تحقيق : محمود محمد شاكر 1974م.

• الموشح. مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر. لأبي عبيدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني. ت 384هج. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الفكر العربي – القاهرة.

• كتاب الأمالي. لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي. قدّم له، محمد عبد الجواد الأصمعي. دار الكتب المصرية.

× الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي. لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري. تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبدالحميد.

وسائل الاتصال وأثرها على اللغة العربية

سهام بنت عبدالله بن صالح الحربي

الرياض

اللغة الأم أو الجواز المتداول بين الشعوب هي اللغة العربية، فالدول تسن الضوابط لحماية الجواز من التزوير ومن باب أولى يجب ان نحافظ نحن العرب على وثيقة اللغة العربية وهويتها من كل من يستبدلها ويحاول إخفاءها حتى لا تتعرض في يوم ما إلى الاختلاس.

وتعتبر لغة الضاد جُزء لا يتجزأ من مصادر الثقافة والادب، وقناة اتصال وتواصل بين مختلف الأجيال واللغة العربية عالم من خلاله يستطيع المرء ان يبدع في التعبير عن المعارف باعتبارها لغة معرفية وثقافية؛ والثقافة جزء من الحياة لقولة تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ (القلم: الآية:3-4)، وتستخدم في المحاسبة والعلوم الهندسية والتطبيقية والعلم في اللغة بحر لا يحاط به، وقد تستخدم أيضًا لإثارة العواطف والانفعالات في النفوس البشرية.

ومما لاشك فيه أن اللغة هي لباس العقل وسلاحها اللسان الذي يستطيع الإنسان من خلاله أن يتحدث بحرية الرأي والفكر وعليه فإنا نستطيع أن نعطي هذه اللغة أهمية بالغة وعناية لامثيل لها؛ كونها لغة القرآن الكريم، التي منحها الله للمسلمين على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم، وخصهم بها كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ (الروم: الآية: 22). ويمكننا وصف الاتصال بأنه: مفتاح للحياة ومن خلاله يحدث تطورها، ومع تنوع التعريفات لدى الباحثين، فإنه يمكننا القول بأن الاتصال: عملية يتم بمقتضاها تفاعل بين مرسل ومستقبل ورسالة في مضامين اجتماعية معينه، و في هذا التفاعل يتم تبادل ومشاركة الأفكار والمعلومات في قضية ما.

ويعتبر الإعلام (المرئي والمسموع) قادرًا على بناء جيل لغوي متذوق إن كان ما يقدمه ويسعى إلى تحقيقه مستوى راقٍ وجميل، أما إذا كان الاعلام يسعى إلى ما هو دون المستوى فإن ذلك يؤدي إلى هجر اللغة، والثقافة، والقيم المرتبطة بها ؛ مما يتسبب في خلق فجوة سيستغل من قبل الثقافات الأجنبية.

واستعمال الفصحى في لغة الإعلام ليس بصعب، فهي لغة سهلة وتتمتع بالمرونة في مستواها العملي ومدركة من قبل أفراد المجتمع بتفاوت الأعمار، والبيئات المختلفة وتتسم بالعمق للمعاني والأفكار، وتعتبر اللغة العربية متجددة وقابلة للتكيف مع الاحداث وتطور الأجيال إلا أن وسائل التواصل الحالية أصبحت تركز على اللغات الأخرى على طبيعة اللغة العربية مما أدى ذلك إلى ضعف قابلية اللغة والأدب والثقافة العربية وعندما ننظر في بعض الأدلة ندرك علاقة اللغة بالفكر، فاللغة العربية لغة الرسل و تعد أغنى أمم الأرض حضارةً وثقافةً وعددًا، كما أنها اللغة الدينية الإسلامية التي تزيد عن المليار من البشر.

أما فيم يخص وسائل الإعلام المتنوعة في وقتنا الحالي فهي تعد من أهم مظاهر الحضارة حاليًا، وهي التي تصنع الرأي العام وتشكل معانيه في جميع أنحاء العالم، وبناء على ذلك فاللغة تعتبر متأثرةً بالإعلام أشد التأثير؛ لأنها هي الوعاء الذي يضع فيه صانع المحتوى فكرته ومحتواه على جمهوره عبر شاشات الأجهزة الذكية، وأصبح الإعلام هو الذي يصنع اللغة، ويحدد الأذواق، ويصنع اختلافات الراي لذلك لابد من وقفة من وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية والثقافية للمساهمة في صناعة اللغة وتشكيلها من جديد لتنوع مدركيها من قبل افراد المجتمع كافة من متعلمين وغير المتعلمين.

وإلى كل من يقرأ كلماتي أقول: لابد من العمل والتكاتف على تحسن علاقتنا بلغة القرآن وربط الصلة الوثيقة بين وسائل الإعلام التي لا حصر لها والمجامع اللغوية، وإنشاء جمعيات مختصة لحماية اللغة العربية؛ لأجل تطويرها والحفاظ على تاريخها بعيدا عن العامية والألفاظ النائية وإلزام صانعي المحتوى الالتحاق بها؛ كونهم مؤثرين في عالمنا العربي عبر برامج التواصل الاجتماعي وجعل اللغة وسيلة للإبداع والحضارة التي تصنع الأمم وتطورها؛ لتشهد نموًا في نفوس القراء والمثقفين وتصنع لنا جيلاً متذوقًا وفعالاً، كذلك ينبغي إقامة دورات متنوعة من خلال استقطاب نخبة من الاكفاء والمهتمين باللغة والآدب لاستخراج الطاقات الكامنة والمواهب الموجودة لديهم واستغلالها في الابداع العربي، وافتتاح مراكز خاصة باللغة العربية تغري عشاق اللغة والشعراء والموهوبين بالخط العربي الالتحاق بها، واستحداث مسرحيات وبرامج مخصصة للأطفال بالفصحى لتنمو معه هذه اللغة دون استنكارها وأن يستشعر المسلم العربي أهمية هذه اللغة واحترامها وتعظيم مكانة الفصحى ؛كونها لغة التاريخ والحاضر والمستقبل.

- إضـــاءة:

بصمة المسلم هي اللغة العربية فالواجب الحفاظ عليها كالهوية الوطنية بين الشعوب والأوطان العربية والإسلامية.